

البحث عن غد

للطبيب الانكليزي روم لومرو

ثلاً ستاذ على حيدر الركابي

- ٥ -

الفجر في سورية

المجاهد

إن للسياسة أثراً بليغاً في تذكر السوريين لا يجاريها فيه شيء، فإن سورية كلها تشكو من مرض واحد هو شدة الحيوية السياسية. وهي الحيوية التي ما زالت في الشرق الأدنى مطلقة لا تقيدتها عوامل ضبط النفس أو الشعور بالمشولية المدنية (Civic Conxionsness)

إنه لمن الصعب جداً معرفة الفروق الرئيسية التي تفصل الحزب الحاكم عن الممارضين الذين لا يسمع لهم بأن يمثلوا في مجلس النواب. ومع ذلك فإن الطموح الشخصي وميل البعض إلى الشهوة قد حلا كلا الفريقين على الاعتقاد بأن الفوارق بينهما عظيمة كما أن كل جهة راحت تهم الأخرى به وه الاتيان وترغم أنها هي المثلة الوحيدة للوطنية الحقة — وبهذا تقيم الأحزاب البرهان على أنها تحافظ على التقاليد الشرقية تمام المحافظة

طرق تعليمها كما قال الأستاذ الانام محمد عبده

ولا أحدثكم بعد عن الفوائد التي نجنبها من إتقان اللغة العربية ودراسة القرآن، فإن الهداية والتقوى تكون ملازمة للعلم بأحكام الدين اللازمة ركرها في آية واحدة أو آيتين متجاورتين، ولا يغمرا من الشعور ببلاغة القرآن وساطلانه على النفوس، ثمرة ذوقنا للنوى الذي نكتسبه من ممارسة اللغة. أما الفوارق المذهبية والشيخ المختلفة فإنه يقضى عليها بإذن الله، ويصبح المسلمون — كما كانوا — أمة واحدة يتعاونون على البر والتقوى. والله الموفق

دار محمد راب

دار محمد راب

ومن أعظم ما أدهشني في سورية الرغبة الشديدة عند رجال السياسة في الاعلان عن آرائهم. ومع أن البعض نهى إلى أنى إن أحطى من السوريين إلا تنصر بحجج حامية وغامضة فقد وجدت السياسيين يندفعون في الحديث بعد مضي خمس دقائق أو عشر على بدء اجتماعهم ويصرحون بما يزيد على المطلوب، فكان علمهم بأن رجل محايد لا أهتم بالسياسة كثيراً يدفعهم إلى الاعتراف أو الشرح أو الاتهام. وعلى كل حال فقد كان لهذه الاعترافات عندى أهمية كبرى من الناحية النفسية إذ أنها أطلعتني على بعض الأمور التي سيكون لها أثر فعال في حياة العرب السياسية في المستقبل وإن كانت هذه الأمور نفسها غير واضحة تماماً الآن

وقد وصلت الصراحة ببعض السياسيين إلى حد أنهم يبتنوا إلى الوسائل التي يودون تسخيرها للنيل من سمعة الحزب المستولى على الحكم. وبالرغم من أن تهديداتهم كانت فارغة وأنها ربما لن تتجاوز حد الكلام إلا أنها كانت دليلاً قاطعاً على فقدان روح المشولية في الأسلوب السياسى التابع. فالعارضون يعتبرون القابضين على زمام الحكم في عداد الخونة، وهؤلاء يمتقدون أن الواجب يدعوهم إلى اتخاذ أى تدبير كان ماداموا يمتقدون فيه الصلاح. وعلى هذا فإن كلا الفريقين يسير على غير بصيرة في طريق ينهى عنه العقل السليم ويجمل ادعاء كل منهما الاخلاص في العمل على نفع الأمة وزعمه أنه مستعد للموت في سبيلها كلاماً بلا معنى

لقد ظهر لي أثر الماطفة المتطرفة في السياسة بجلاء لما زرت أحد أعداء الحكومة وكان من قواد الثورة على الفرنسيين عام ١٩٢٥. ولو لم يؤكد لي أشخاص مختلفون بأنه كان يقود الحملة تلو الأخرى ضد الفرنسيين لما صدقت قط أن هذا الرجل كان في يوم من الأيام مصدراً صالحاً لافان القيادة العسكرية الفرنسية فقد استقبلني عند ما زرته في ساعة متأخرة من الليل بجلباب من الحرير الأبيض الفاخر الموشى بخيوط حمراء وذهبية وكان يقطن (شقة) حديثة نفمة. وهو خريج جامعة ألمانية مشهورة ولكنه يتكلم الانكليزية بسهولة وعذوبة تتناسب مع مكانه في منزل جميل وأرتدائه الحرير الأبيض لاستقبال الضيوف الأجانب ذكرت لصديق بعض رجال الحكومة فاتفجر وأتهمهم بالخيانة

وسوء الاثنان، وعند ما سألته عن الوسيلة الناجمة لإزالة الفساد
الذي من حياة سورية السياسية أجاب على الفور وبلا تردد :

« يجب أن تقتل هذه الفئة السيئة أولاً »

فأخذتني الدهشة وسألته :

« ومن تقصد بذلك ؟ »

« الذين يبدم الحكم فهم لا يعملون إلا لتحقيق
مصالحهم الخاصة »

« ولكن ، ليس من المعقول أن ترغب في قتلهم لمجرد
اعتقادك أنهم غير نزيهين »

« القتل هو الطريقة الوحيدة لتعليمهم النزاهة في الحكم .

يجب أن قتلهم ، وسنقتلهم عند ما يحل الميعاد »

« وهل تعتقد حقاً أن القتل مازال في هذا العصر

الحديث أحسن وسيلة للتهديب السياسي ؟ »

« نعم ، ففي الشرق الأدنى لم يزل القتل أحسن واسطة .

إنه ليس من المؤكد أن تنفذ للقتل في هذه السنة أو التي تليها
ولكنك عند ما تعود إلى سورية بعد بضعة أعوام تشهد ببعض
التبدلات الخطيرة، وربما وجدت بعض الأشخاص الذين تعرفت
إليهم هذه المرة قد انتقلوا إلى غير هذا العالم »

لقد تفوه بهذه العبارات القاسية بكل هدوء، مثله في ذلك مثل
البط البري الذي لا تؤثر الميائ في أجنحته عند ما يبطس في
البحيرة . وقد اتضح لي أنه لا يمتزج بأية صلة بين الدعوة التي
أخذ يبشر بها وبين ما يترتب على تطبيق وسائلها من عواقب مخيفة،
فهما في نظره أمران لا ارتباط بينهما .

مما لا شك فيه أن لشخصية هذا الرجل جاذبية قوية يمتزج
بها أعداؤه أنفسهم . وكانت حقيقته تخفى على الناس بفضل
الجاذبية وبفضل طريقتة في الكلام عن أهم معتقداته بلهجة عادية
كأنه يشرح أمراً بسيطاً . لقد وخط المشيب رأسه ، ومع ذلك
فقد كانت حركاته كحركة الفتيان تدل على قوة العقل ومرونته .
إني صدقت القصص التي رواها لي عن عمله مع لورنس إذ كانا
يشتركان في نفس القسطنطينية والتمتع بنشوة الحرب والقتل
يتحلى هذا الرجل بكل الصفات الخيالية التي نجمل في الثائر
الغربي فتنة للزائر الأجنبي ، وخصوصاً إذا كان هذا الزائر جاسداً

بما هو غيبوه وراء ذلك السحر الخارجي . إني لأذكر في هذه
المناسبة المباراة التي قالمها رجل بريطاني عقب زيارته لفلسطين:
« يالمنا من عيون بريئة ! يالمنا من وجه صبور جميل ! » لم تكن
عيون مضيق في دمشق بريئة ولكنه كان يتفنى بالآداب الاجتماعية
التي لفتته إياها المدنية الغربية ، ومع ذلك فإن تمدينه الظاهر الذي
يتنافى مع ما يخفيه من غرائز أولية ربما كان عائفاً يؤخر إصلاح
الشرق أكثر من الوطنية المتطرفة المصحوبة بالنية الحسنة التي
يتصف بها غري البارودي . ومع أن هذا المضيف قد استنشق
المواء في جامعات أوربية مختلفة وكان يتنقل بين أمانه الفخم بكل
ثقة واطمئنان فهو لم يتعلم بعد أن القتل لم يعد هو الوسيلة الوحيدة
لتعليم السياسيين الأخلاق . إن أمثال هذا الرجل ليعرفون
الساعي الخاصة التي ينفذها المستنبرون من العرب

لقد أدركت عند ختام زيارتي دمشق السبب الذي جعل
سورية تخرج هذا العدد الكبير من قادة السياسة في البلاد السرية،
كما أدركت الداعي لاعتبارها ركناً من أركان الحركة العربية
الحديثة : إن في القتل السوري لفظنة ، وإن في أكثر رجال
السياسة في سورية لمضاء في النزعة لم أخلطه في مصر؛ وخيل إلى
في فلسطين أنه موقت يزول بزوال الظروف الحاضرة . إن جميع
الصفات التي تميز الخلق العربي بارزة في شخصية السوريين بكل
وضوح وجللاء، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون دوراً رئيسياً في
حياة الشرق الأدنى المستقبلية

إن طبيعة السوريين والظروف التي أحاطت بهم جعلت منهم
شعباً ثائراً ، ولهذا كان منتظراً أن يعجز الفرنسيون عن إدارة
سورية في جو هادي . غير أنه لا يمكن اعتبار فرنسا وحدها
مسؤولة عن تمرد السوريين وما أنتجه من حركات منذ عام ١٩٢٠،
كما أنه ليس من المؤكد أن تنتهي المنازعات الداخلية بعد نيل
سورية استقلالها التام عام ١٩٣٩ إذ أن السوريين في أشد الحاجة
إلى كثير من التهديب السياسي والاعتقاد على ضبط النفس ليصنعوا
البلاد من التفكك الداخلي . إن أمثال الدكتور الكيالي يجب أن
يجدوا ويجهدوا لكي يجملوا الصداقة الأبدية مع فرنسا التي يدعو
إليها الميسر إده في لبنان بأعلى صوته غير ضرورة لسورية

« يتبع » على ميمر الرقاب